ببوت المتقين

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية/ وحدة المساجد والحسينيات
العدد (٢٩) لشهر جمادى الأولى سنة ١٤٣٧هـ

نشرة شهرية تعنى بالشؤون الدينية لمرتادي المساجد والحسينيات
السنة الثالثة

- بـــرّ الوالدين
- الجبر والتفويض (الحلقة الثانية)
- آداب المعاملة (ج4)

قبة مسجد الشيخ الطوسي

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال:

(وأما ابنتي فاطمة ، فإنها سيدة نساء العالمين . . . وإني كلما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ! كأني بها وقد دخل الذل بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغصبت حقها ، ومنعت إرثها ، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها ، وهي تنادي : يا محمداه ، فلا تجاب ، وتستغيث فلا تغاث...)

الأمالي الشيخ الصدوق/ ص١٧٦

فاطمة الزهراء عليها السلام

١٣ جمادى الأولى سنة ١١ هـ

بيوت المتقين

العتبة العلوية المقدسة

إقـــرأ في هـــذا العـــدد

❖ وقفة فقهية:

الوضـــوء ٦-٧

❖ محاسن الكلم:

الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين الحلقة الثانية ١٠-١١

❖ مساجدنـــا

مسجد الشيخ الطوسي ١٢-١٣

❖ عقائدنـــا

الإمامة .. الحلقة الخامسة عشر ١٦-١٧

❖ الأسرة والمجتمـع

توجيهات في الحث على آداب المعاملة ٢٢

www.alataba.net/vb
www.imamali.net
tableegh@imamali.net

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

حديث القدر في بيت فاطمة(عليها السلام)

عن حمّاد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن أنس قال: سألني الحجاج بن يوسف عن حديث عائشة، وحديث القدر التي رأت في بيت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تحركها بيدها، قلت: نعم أصلح الله الأمير دخلت عائشة على فاطمة(عليها السلام) وهي تعمل للحسن والحسين(عليهما السلام) حريرة بدقيق ولبن وشحم في قدر، والقدر على النار يغلي وفاطمة (عليها السلام) تحرِّك ما في القدر بإصبعها، والقدر على النار يبقبق(البقبقة : حكاية صوت القدر في غلیانه(تاج العروس : ٦ / ٢٩٧).

فخرجت عائشة فزعة مذعورة، حتى دخلت على أبيها فقالت: يا أبه، إني رأيت من فاطمة الزهراء أمراً عجيباً [عجبا]، رأيتها وهي تعمل في القدر، والقدر على النار يغلي، وهي تحرك ما في القدر بيدها!

فقال لها: يا بنية ! اكتمي، فإن هذا أمر عظيم.

فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القدر والنار، والذي بعثني بالرسالة، واصطفاني بالنبوة، لقد حرم الله تعالى النار على لحم فاطمة، ودمها، وشعرها، وعصبها، [وعظمها] وفطم من النار ذريتها وشيعتها. إن من نسل فاطمة من تطيعه النار، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، وتضرب الجن بين يديه بالسيف، وتوافي إليه الأنبياء بعهودها، وتسلم إليه الأرض كنوزها، وتنزل عليه من السماء بركات ما فيها . الويل لمن شك في فضل فاطمة. [لعن الله من يبغضها] لعن الله من يبغض بعلها، ولم يرض بإمامة ولدها. إن لفاطمة يوم القيامة موقفا، ولشيعتها موقفا. وإن فاطمة تدعى فتكسى، وتشفع فتشفع، على رغم كل راغم (العوالم : ١ / ١٩٨) .

في تسمية الزهراء (عليها السلام) بالمحدَّثة

عن زيد بن علي قال : (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنما سمّيت فاطمة محدَّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول : يا فاطمة إن الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المُفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟ فقالوا : إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عز وجل جعلكِ سيدة نساء عالمكِ وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين) علل الشرائع: ١٨٢ ح ١ باب ١٤٦ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنك لن تلج الجنة حتى تزدجر عن غيك وتنتهي، وترتدع عن معاصيك وترعوى).

الوضوء

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)

الوضوء مستحب في نفسه، ولكنه يجب لغيره من العبادات أو الأعمال، وموارد وجوب الوضوء:

١- الصلاة الواجبة والمستحبة وكذا أجزاؤها المنسية عدا صلاة الميت.

٢- الطواف الواجب (وهو ما كان جزءً من حج أو عمرة واجبين أو مستحبين).

٣- مس كتابة القرآن.

٤- مس اسم الجلالة وسائر أسمائه وصفاته على الأحوط وجوباً.

شرائط الوضوء:

١- طهارة ماء الوضوء، فلا يصح الوضوء بالماء المتنجس.

٢- إطلاق ماء الوضوء، فلا يصح الوضوء بالماء المضاف كماء الورد.

٣- الأحوط وجوباً أن يكون نظيفاً، أي: غير متغير بالقذارات العرفية كالميتة الطاهرة، وأبوال الدواب والقيح.

٤- طهارة أعضاء الوضوء.

٥- إباحة الماء، فلا يصح الوضوء بالماء المغصوب.

٦- عدم المانع من استعمال الماء، لمرض يتضرر معه باستعماله.

٧- النية، بأن يقصد الفعل متعبداً به بإضافته إلى الله تعالى إضافة تذللية.

٨- مباشرة المتوضيء للغسل والمسح إذا أمكنه ذلك.

٩- الموالاة: وهي التتابع العرفي بين أفعال الوضوء.

١٠- الترتيب بين أعضاء الوضوء، بأن يغسل الوجه أولاً ثم اليد اليمنى ثم اليسرى، ثم مسح الرأس ثم الرجلين.

واجبات الوضوء :

١- غسل الوجه: يجب غسل الوجه من منبت الشعر أعلى الجبهة إلى نهاية الذقن طولاً، وما اشتملت عليه الأصبع الوسطى والإبهام عرضاً، والأحوط لزوماً الابتداء بأعلى الوجه إلى الأسفل فالأسفل عرفاً، والشعر النابت في حد الوجه إن كان كثيفاً، فيكفي غسل ظاهره، وإن كان خفيفاً فيجب غسله مع البشرة.

٢- غسل اليد اليمنى: يجب غسلها من المرفق إلى أطراف الأصابع ابتداء من المرفق ثم الأسفل فالأسفل عرفا، والمرفق هو مجمع عظمي الذراع والعضد، ويجب غسله مع اليد، ويجب غسل الشعر النابت في اليد مع البشرة حتى الغليظ منه على الأحوط وجوباً.

٣- غسل اليد اليسرى: على نحو ما تقدم في غسل اليد اليمنى تماماً.

٤- مسح مقدّم الرأس: أي ذلك الجزء من الرأس الذي يكون فوق الجبهة ويمتد إلى منتهى الإرتفاع في الرأس، ويكون المسح بما بقي من رطوبة اليد، ولا يصح المسح بماء جديد، ويكفي في المسح المسمى طولاً وعرضاً، والأحوط استحباباً أن يكون العرض قدر ثلاثة أصابع مضمومة والطول قدر أصبع، ويشترط أن لا يكون على الرأس رطوبة ظاهرة.

٥- المسح على ظاهر القدم اليمنى: وحدّه طولاً من أطراف الأصابع إلى الكعبين ـ والكعب هو المفصل بين الساق والقدم ـ،وعرضاً بما يصدق معه

المسح ولو كان بمقدار أصبع، ولا يجزي المسح على ما يمنع من وصول الماء إلى البشرة كالحذاء أو الجورب، ويجب أن يكون المسح بالرطوبة الباقية في اليد كما تقدم في مسح الرأس، والأولى أن يكون المسح باليد اليمنى، وإن كان يجوز المسح باليد اليسرى أيضاً.

٦- المسح على ظاهر القدم اليسرى: على نحو ما تقدم في مسح الرجل اليمنى تماماً، والأولى أن يكون المسح باليد اليسرى، وإن كان يجوز المسح باليد اليمنى أيضاً.

مبطلات الوضوء:

١- خروج البول.
٢- خروج الغائط.
٣- خروج الريح من الدبر.
٤- النوم الغالب على السمع، ويلحق به كل ما يذهب العقل كالجنون والإغماء.
٥- الاستحاضة على تفصيل.
٦- الجنابة.

مستحبات الوضوء وآدابه:

١- التسمية قبل الوضوء.
٢- غسل اليدين من الزندين مرة واحدة؛ لحدث النوم والبول، ومرتين؛ لحدث الغائط.
٣- المضمضة ثلاث مرات.
٤- الاستنشاق ثلاث مرات.
٥- يبدأ الرجل بظاهر ذراعيه في غسل اليدين، والمرأة تبدأ بالباطن.
٦- الدعاء بالمأثور وهو كما يأتي.

آداب الوضوء:

الأول: البسملة والجلوس متوجهاً إلى القبلة ووضع الإناء على اليمين ويقول إذا نظر إلى الماء: (الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً).

الثاني: غسل اليدين إلى الزندين قائلاً: (بسم الله وبالله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين).

الثالث: أن يتمضمض قائلاً: (اللهم لقنّي حجّتي يوم ألقاك وأطلق لساني بذكرك).

الرابع: أن يستنشق قائلاً: (اللهم لا تحرمني ريح الجنّة واجعلني ممن يشم ريحها وروحها وطيّبها).

الخامس: أن يقول عند غسل الوجه: (اللهم بيّض وجهي يوم تسود الوجوه ولا تسوّد وجهي يوم تبيض الوجوه).

السادس: أن يقول عند غسل اليد اليمنى: (اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيساري وحاسبني حساباً يسيراً)، ويقول عند غسله اليسرى: (اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي وأعوذ بك من مقطعات النيران).

السابع: أن يقول عند مسح رأسه: (اللهم غشّني برحمتك وبركاتك وعفوك ومغفرتك).

الثامن: أن يقول عند مسح رجليه: (اللهم ثبّت قَدَمَيَّ على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام واجعل سعيي فيما يرضيك عني).

التاسع: عند الفراغ من الوضوء تقول: (اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك والجنة)، وتقول أيضاً: (الحمد لله رب العالمين)، بعد ذلك تقرأ سورة القدر ثلاث مرات وآية الكرسي مرة واحدة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنك لن تدرك من ربك ما تحب إلا بالصبر عما تشتهي).

برّ الوالدين

قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً).

يجب على الأبناء أن يقدّروا فضلَ آبائهم وعظيمَ إحسانهم، فيجازونهم بما يستحقونه من حسن الوفاء، وجميل التوقير والإجلال، ولطف البر والإحسان، وسمو الرعاية والتكريم، أدبياً ومادياً، وقد حثّ الله تعالى على بر الوالدين وقرنه بعبادته وتوحيده في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) سورة البقرة: آية٨٣، وقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى...) سورة النساء: آية٣٦، وانظر كيف يُعظِّم القرآن الكريم شأن الأبوين، ويحضّ على إجلالهما ومصاحبتهما بالبر والمعروف، حيث قال: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) سورة لقمان: آية١٤-١٥، وقال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) سورة الإسراء: آية٢٣-٢٤.

وعن أبي ولّاد الحنّاط قال: (سألت أبا عبد الله الصادق(عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) سورة البقرة: آية٨٣، ما هذا الإحسان فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عز وجل: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). سورة آل عمران: آية٩٢، قال: ثم قال أبو عبد الله(عليه السلام): وأما قول الله عز وجل: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا) سورة الأنبياء: آية٢٣، إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك: (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)، قال: إن ضرباك فقل لهما غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) سورة الإسراء: آية١٤، قال: وهو أن لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقّة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تَقدَّم قُدَّامها) من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢٩١.

فقد أعربت هاتان الآيتان عن فضل الوالدين ومقامهما الرفيع، وضرورة مكافأتهما بالشكر الجزيل، والبر والإحسان اللائقين بهما، فأمرت الآية الأولى بشكرهما بعد شكر الله تعالى، وقرنت الثانية الإحسان إليهما بعبادته عزّ وجلّ، وهذا غاية التعزيز والتكريم، فبر الوالدين والإحسان إليهما هو من أفضل القربات، وأشرف السعادات، ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه، والترغيب فيه، ونحن نذكر هنا جملة وافرة من الروايات تأكيداً على هذا المعنى:

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (برُّ الوالدين أفضلُ من الصلاة والصوم والحجِّ والعمرة والجهاد في سبيل الله) المحجة البيضاء: ج٣، ص٤٣٤.، وعنه(صلى الله عليه وآله): (من أصبح مُرضِياً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة) جامع السعادات:

ج٢، ص٢٠٣، وعنه (صلى الله عليه وآله): (قيل: يا رسول الله ما حق الوالد قال: أن تطيعه ما عاش، قيل: وما حق الوالدة فقال هيهات هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها) العوالي: ج١، ص٢٦٩، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (ثلاث لم يجعل الله تعالى فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين بريّن كانا أو فاجرين) الكافي: ج٢، ص١٢٩، وعنه(عليه السلام): (صدقة السر تطفئ غضب الرب وبر الوالدين وصلة الرحم يزيدان في الأجل) الكافي: ج١٥، ص١٧٦، وعنه(عليه السلام): (وما كانوا يعرفون -أي: شيعتنا- يا جابر إلا بالتواضع والبر بالوالدين) جامع أحاديث الشيعة: ج٢١، ص٤٤١، وعن أبي عبد الله عليه السلام: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سرّ بها وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به، وهو رجل! فقال: لأنها كانت أبرّ بوالديها منه) بحار الأنوار: ج٤٧، ص٢٦٨، وعنه (عليه السلام) : إن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: (يا رسول الله أوصني، فقال: لا تشرك بالله شيئاً، وإن حُرِّقت بالنار وعُذِّبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك، فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإن ذلك من الإيمان) الكافي: ج٢، ص١٥٨، وعنه(عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (نَظَرُ الولد إلى والديه حباً لهما عبادة) تحف العقول: ص٤٦، وعنه (عليه السلام) قال: سأل رجل رسول الله(صلى الله عليه وآله): ما حق الوالد على ولده؟ قال(صلى الله عليه وآله): (لا يسمّيه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسبّ له) الكافي: ج٢، ص١٥٨، أي لا يفعل ما يصير سبباً لسب الناس له، كأن يسبهم أو آباءهم وقد يسب الناس والد من يفعل فعلاً شنيعاً قبيحاً، وجاء في فقه الرضا (عليه السلام): (عليك بطاعة الأب وبره والتواضع والخضوع والإعظام والإكرام له وخفض الصوت بحضرته، فإن الأب أصل الابن والابن فرعه، لولاه لم يكن بقدرة الله، ابذلوا لهم الأموال والجاه والنفس)، وقد روي: (أنت ومالك لأبيك)، فجعلت له النفس والمال، تابعوهم في الدنيا أحسن المتابعة بالبر وبعد الموت بالدعاء لهم والرحمة عليهم، فإنه روي أن من برّ أباه في حياته ولم يدعُ له بعد وفاته سمّاه الله عاقاً.

برّ الوالدين يزداد عند عجزهما:

برّ الوالدين وإن كان له فضله ووقعه الجميل في نفس الوالدين، بَيد أنه يزداد فضلاً ووقعاً جميلاً عند عجزهما وشدة احتياجهما إلى الرعاية والبر، كحالات المرض والشيخوخة، وإلى هذا أشار القرآن الكريم: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) سورة الإسراء: آية٢٣ -٢٤، وقد ورد أن رجلاً جاء إلى النبي(صلى الله عليه وآله)، فقال: (يا رسول الله، إن أبويّ بلغا من الكبر وإني ألي منهما ما وليا في الصغر، فهل قضيتهما حقهما؟ قال: لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبّان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما) تفسير كنز الدقائق: ج٧، ص٣٨١، وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (إن أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة، فقال: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقّمه بيدك، فإنه جُنّة لك غداً) الكافي: ج٢، ص١٦٢.

بر الوالدين بعد موتهما :

ليس البر مقصوراً على حياة الوالدين فحسب، بل هو ضروري في حياتهما وبعد وفاتهما، فانقطاعهما عن الدنيا لا يعني عدم حاجتهما إلى شي، بل هما بعد الموت أشد احتياجاً إلى البر والإحسان المتمثل بالدعاء لهما وإهداء ثواب الطاعات والقربات، فمهما بلغ الإنسان في دنياه من كثرة عمل الخير يبقى محتاجاً له بعد موته، لعدم علمنا ما حلّ به، وهل قبلت أعماله أو لم تقبل، مما يقتضي - شفقةً عليهما - أن يستمر الشخص محسنا لأبويه بعمل الخير لهما، فعن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: (ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته وهي تجري بعد موته، وسُنّة هدى سنّها فهي يُعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له) الكافي: ج٧، ص٥٦.

من أجل ذلك فقد تظافرت وصايا أهل البيت (عليهم السلام) على برّ الوالدين بعد وفاتهما، وأكدت عليه وذلك بقضاء ديونهما المالية أو العبادية، وإسداء الخيرات والمبرّات إليهما، والاستغفار لهما، والترحّم عليهما واعتبرت إهمال ذلك ضرباً من العقوق، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضي عنهما دَينهما ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما، فيكتبه الله تعالى باراً) مشكاة الأنوار: ص١٥٨، وعن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (سيد الأبرار يوم القيامة، رجل برّ والديه بعد موتهما) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٨٦، وعنه (صلى الله عليه وآله): (ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيراً كثيراً) الكافي: ج٢، ص١٢٧، من أجل ذلك كان فضل الوالدين على الولد عظيماً وحقهما جسيماً، سما على كل فضلٍ وحقٍ بعد فضل الله عز وجل وحقه.

الصبر

الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين

(الحلقة الثانية)

من كتاب الكافي

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وإِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وغَيْرِهِمَا رَفَعُوهُ قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وقَدَرٍ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): أَجَلْ يَا شَيْخُ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً ولَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وقَدَرٍ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ يَا شَيْخُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وأَنْتُمْ سَائِرُونَ وفِي مَقَامِكُمْ وأَنْتُمْ مُقِيمُونَ وفِي مُنْصَرَفِكُمْ وأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ ولَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ - مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ وكَانَ بِالْقَضَاءِ والْقَدَرِ مَسِيرُنَا ومُنْقَلَبُنَا ومُنْصَرَفُنَا؟ فَقَالَ لَهُ: وتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وقَدَراً لَازِماً، إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ والأَمْرُ والنَّهْيُ والزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ وسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ والْوَعِيدِ فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ ولَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ ولَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ ولَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ، تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وحِزْبِ الشَّيْطَانِ وقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَجُوسِهَا، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً - ونَهَى تَحْذِيراً وأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً - ولَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً ولَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً - ولَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ عَبَثاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ، فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ
يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانا
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانا.

الشرح:

هذه الرواية الشريفة تخبرنا أن أمير المؤمنين(عليه السلام) كان جالساً في الكوفة بعد واقعة صفّين إذ أقبل شيخ وجثا بين يديه ثمّ قال له : (أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وقَدَرٍ؟)، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (أَجَلْ يَا شَيْخُ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً) هي ما ارتفع من الأرض (ولَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ) هو ما انخفض من الأرض (إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وقَدَرٍ).

فقال الشيخ: (عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)، أي: أن العناء والتعب وما واجهته هو من أفعال الله تعالى، وعليه فلا معنى للأجر والثواب.

فقال (عليه السلام): (مَهْ يَا شَيْخُ) (مه) اسم فعل أمر، ومعناه أكفف نفسك عن هذا الكلام، (فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وأَنْتُمْ سَائِرُونَ وفِي مَقَامِكُمْ وأَنْتُمْ مُقِيمُونَ وفِي مُنْصَرَفِكُمْ وأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ) وكذلك كل ما يصيب الإنسان من مرض وبلاء وإن كان هو ليس باختياره لكنه يؤجر على ذلك ويثاب.

ثم يشير الإمام إلى أمر مهم وهو: أنّ قضاء الله لا يسلب الاختيار من الإنسان بقوله: (ولَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ) فسيرهم إلى صفين كان باختيارهم وارادتهم.

فقال الشيخ: (وكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ وكَانَ بِالْقَضَاءِ والْقَدَرِ مَسِيرُنَا ومُنْقَلَبُنَا ومُنْصَرَفُنَا) ومن هذا الكلام علم الإمام(عليه السلام) أن السائل أخطأ في معنى القضاء والقدر، فقال له على سبيل الإنكار والتوبيخ: (وتَظُنُّ أَنَّه كَانَ قَضَاءً حَتْماً وقَدَراً لَازِماً إِنَّه لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ والأَمْرُ والنَّهْيُ والزَّجْرُ مِنَ اللهِ وسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ والْوَعِيدِ)، أي: لو كان مسيرنا حتماً وقدراً للزم من ذلك الجبر وبطل بذلك الثواب والعقاب، لأنّ الثواب نفع يستحقّه العبد بالإتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيّات، والعقاب ضرر يستحقّه بالإتيان بالمنهيّات والاجتناب عن الطاعات وهما تابعان للاختيار ولا يتحقّقان مع الإجبار، وسقط بذلك الأمر والنهي، والزجر مع عدم وجود الاختيار ولا معنى للوعد والوعيد، لأنّهما من الألطاف المحركة إلى الإمتثال بالأمر والنهيّ، لرغبة الثواب ورهبة العقاب، وقد عرفت بطلان هذه الأمور على تقدير الإجبار.

ثم قال (عليه السلام): (فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ ولَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ) فلا وجه للوم والمدح إليهما إذا صدر الذّنب والإحسان من غيرهما.

ثم قال (عليه السلام): (ولَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ ولَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ) وفي حديث الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو مثل هذا الحديث مع تفاوت يسير: (ولم يكن المُحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذّم من المحسن) وهذه العبارة أظهر معنى من العبارة الأولى، والمعنى: أنّ العبد إذا كان مسلوب الإختيار بالكلّيّة كان المحسن والمسيء متساويين في عدم القدرة وعدم استناد أفعالهما إليهما فلا يكون الأوّل أولى بالمدح من الثاني ولا الثاني أولى بالذّمّ من الأوّل.

ثم أوضح (عليه السلام) بطلان هذا الأمر بقوله: (تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ) ولعلّ المراد بعبدة الأوثان مشركوا العرب فإنّ بعضهم كانوا يقولون بنفي الحشر والنشر والثواب والعقاب، وبعضهم كانوا يقولون بالجبر بدليل قوله تعالى: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) والمراد بإخوانهم الأشاعرة حيث يلزمهم ذلك وإن لم يقولوا به صريحاً (وخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ) لأنّه تعالى نسب في آيات كثيرة أفعال العباد إلى أنفسهم، فقال عزّ من قائل: (وإنّي لغفارٌ لمَن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى)، وقال (مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومَن أساء فعليها)، وقال: (ليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى)، وقال: (لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً)، وقال: (أم حسب الّذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصالحات)، وقال: (والله بصير بما تعملون) إلى غير ذلك ممّا لا يعدُّ ولا يحصى، وصرّح في كثير منها ببراءته من القبائح والظلم، فقال: (إنّ الله لا يأمر بالفحشاء) (إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة) (وما أنا بظلاّم للعبيد) إلى غير ذلك، وهؤلاء يقولون نحن براء من القبائح وأنت تفعلها ولا مخاصمة أعظم من ذلك، (وحِزْبَ الشَّيْطَانِ) لمتابعتهم إيّاه فيما يلقيه إلى نفوسهم الشريرة (ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون) (وقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَجُوسِهَا) قد عرفت آنفاً أنّ القدريّة تطلق على الجبريّة القائلين بأنّ الله تعالى قد جبر عباده على ما قدّره وقضاه.

هذا الحديث وما روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال لرجل قدم عليه من فارس: (أخبرني بأعجب شيء رأيت فقال: رأيت قوماً ينكحون أمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى وقدره، فقال (صلى الله عليه وآله): سيكون من أمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم أولئك مجوس أمّتي) بحار الأنوار: ج٥، ص٤٧، وما روي عن الحسن بن عليّ (عليهما السلام) أنّه قال: (بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله) مرآة العقول: ج٢، ص١٧٩، إلى غير ذلك من الرّوايات المعتبرة، أدلّة واضحة على أنّ المراد بالقدريّة والمجوس هم الأشاعرة وغيرهم من القائلين بالجبر، وفيما روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (القدريّة مجوس هذه الأُمّة) التوحيد: ص٣٨٢.

ثمّ أشار إلى أنّ المراد بالقضاء والقدر هنا هو الحكم والتكليف على التخيير دون الإجبار بقوله: (إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً ونَهَى تَحْذِيراً وأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً)، فالله عز وجل مخير في إعطاء الثواب، قال تعالى: (مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

(ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً) ولو عصى العبد لم يكن سبحانه مغلوباً، بل ذلك بإرادته تعالى فقد أراد للعباد أن يختاروا فعلهم بأنفسهم من دون تدخل تكوني من قبله فيما يفعلون.

(ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً) أي صدور الإطاعة من العبد ليست لغلبته تعالى عليه، بل لأجل اختيار العبد إيّاها.

(ولَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً) فحيث فوض الله عباده في أفعالهم وتروكهم، فليس معناه ملكوا أمرهم بشكل كلي وإنما على نحو: (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

(ولَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً) كما قال سبحانه: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ* مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

(ولَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ عَبَثاً) فلو كان العباد مجبرين في أفعالهم وتروكهم لأصبح بعث الأنبياء عبثاً منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ثمّ اقتبس(عليه السلام) من القرآن الكريم لجذب الشيخ من ورطة الهلاك إلى سبيل النجاة فقال: (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)، أي: أنّ قول الله منطبق على من ظنّ أنّ القضاء كان حتماً والقدر كان لازماً.

فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِه
يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانا
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنكم إلى اكتساب صالح الأعمال أحوج منكم إلى مكاسب الأموال).

مسجد الشيخ الطوسي

عندما نخرج من صحن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) من الباب المعروفة باسم باب الطوسي، هناك مسجد شهير وعظيم بالنجف وهو على مقربة أمتار من الصحن المبارك، هذا المسجد اسمه مسجد الشيخ الطوسي، وباب الصحن الشريف أيضا تسمى باسم هذا العالم العظيم الشيخ الطوسي، ويقع في محلة العمارة من الجهة الشمالية للصحن الشريف في أول شارع الطوسي اليوم.

وهو من المساجد القديمة، وقد كان في الأصل داراً لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي منذ أن وطأت قدمُهُ أرض النجف عام ٤٤٨هـ، وبعد وفاته عام ٤٦٠ أوصى أن يدفن فيه، وأن يجعل مسجداً من بعده، وقد دفن فيه فعلاً ومعه ولده الشيخ الحسن بن محمد الطوسي، وما زال قبر الشيخ الطوسي قائما في وسطه يتبرك الناس به، وبإزائه مقبرة السيد محمّد مهدي بحر العلوم.

ويعد مسجد الطوسي من المساجد المهمة في مدينة النجف الأشرف، حيث يعتبر هذا الجامع مركزاً للعلم والتحصيل وتدريس طلاب الحوزة العلمية في كل أدواره وتقام فيه الفواتح والمجالس الحسينية وصلاة الجماعة، وقد أقام الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) الصلاة فيه، وألقى الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيد محسن الحكيم، والسيد محمد تقي بحر العلوم بحوثهم فيه، وكان الإمام السيد محسن الحكيم يحاضر في الفقه صباحا في هذا المسجد، والعلامة الشيخ حسين الحلي يحاضر عصراً، والعلامة الشيخ باقر الزنجاني يحاضر ليلاً.

وقد مرّت على مسجد الشيخ الطوسي تجديدات عديدة إلى أن وصل إلى وضعه الحالي، فقد جُدّد بناء المسجد في سنة ١١٩٨هـ، ومرة أخرى في سنة ١٣٠٥هـ، وأخرى في عام ١٣٨٠هـ، وفي عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م فتحت الحكومة شارع الشيخ الطوسي فأقتطع من المسجد قرابة ثلاثة أمتار على طول جبهته، فأصبح للمسجد بابان أولهما تطل على الزقاق الخلفي للمسجد، والثانية تطل على الشارع العام، وتبلغ مساحة مسجد الشيخ الطوسي في الوقت الحاضر (٣١مترا طولا و١٧مترا عرضا)، بما في ذلك حرم وساحة ومقبرة السيد بحر العلوم ومرافق المسجد.

الشيخ الطوسي شيخ الطائفة:

الشيخ الطوسي هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٣٨٥ هـ - ٤٦٠هـ) المعروف بشيخ الطائفة وهو أحد عظماء الإسلام، من مواليد طوس في إيران، وطوس هي مشهد الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، فهذا الرجل العظيم بدايته عند الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) ونهايته عند الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام).

ولد الشيخ الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥ هجرية وكانت حياته غنية بالفضائل والمكارم والعطاء الضخم على مختلف الأصعدة خصوصاً في مجال تراث أهل البيت (عليهم السلام) وفي مجال نشر علومهم، وقد مرت حياته بثلاثة مقاطع: المقطع الأول منها قضاه في مدينة طوس، حيث شرع فيها ببدايات تحصيل العلم وقضى فيها ما يزيد قليلاً على عشرين سنة، ثم انتقل من هناك إلى مدينة بغداد وهو المقطع الثاني من حياته الشريفة، والمقطع الثالث انتقاله من بغداد إلى النجف الأشرف.

لا نمتلك معلومات عن عطائه وممارسته الدور العلمي في طوس لكن أثناء إقامته في بغداد التي قدم إليها سنة ٤٠٨ هـ وهو في سن الثالثة والعشرين تقريباً، والتي قضى فيها قرابة الثلاثين عاماً كانت هذه الفترة حافلة بأوسع العطاءات العلمية، وقال عنه المؤرخون والكتّاب بأنه حينما كان في بغداد ملأ الدنيا صيته وارتبط بالكثير من الأعلام ومشاهير الكتّاب، حيث تتلمذ على يد الشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) خمس سنوات وعلى يد ابن الغضائري (المتوفى سنة ٤١١هـ) ثلاث سنوات على يد ابن الحاشر البزاز وابن أبي جيد، وشارك النجاشي (٣٧٢-٤٥٠هـ) في بعض مشايخه، وأدرك السيد المرتضى (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) ولم يدرك الشريف الرضي، وبعد ذلك لما ارتحل الشريف المرتضى(رضي الله عنه) عام ٤٣٦ هجرية ثنيت للشيخ الطوسي وسادة المرجعية وزعامة المذهب الجعفري، حيث أصبح زعيم الطائفة بشكل عام، ومرجعاً عاماً للإمامية في العالم كله.

أسند إليه الخليفة العباسي كرسي علم الكلام في بغداد، وكان له مشروع علمي ضخم هناك حيث شكّل مدرسته العلمية وانضم إليها المئات من الطلبة من مختلف البلاد الإسلامية، ومن عموم المذاهب، واستطاع أن يربّي نخبة كبيرة من التلاميذ والعلماء وكان كل واحد منهم ينبوعاً من ينابيع العلم.

المتخصصون في ترجمة هذا الراحل العظيم لما رجعوا إلى الأوراق والوثائق والرسائل اكتشفوا فيها أن الشيعة وغير الشيعة من مختلف نقاط العالم الإسلامي وحتى من بلدان أخرى أحبار وقساوسة أيضا كانوا يراسلونه في مسائل تتعلق بعلم الكلام، وعلم الأصول، في نقاشات علمية وغيرها يستوحي الكتّاب من ذلك أنه كان مرجعاً لعموم الشيعة في العالم كله.

وظل الشيخ الطوسي محتفظاً بمنصبه إلى أن هاجم السلاجقة بغداد، وهؤلاء معروفون بوحشيتهم وفوضويتهم وحقدهم على التشيع، فدمروا ما دمروا، واتلفوا ما اتلفوا، واحرقوا ما احرقوا، وقتلوا من قتلوا، وطالت هجمتهم منزل الشيخ الطوسي ومكتبته العامرة العظيمة، فأحرقوها ودمروها تدميراً كاملاً، وتبدد وتلف ذلك التراث الذي قدم الشيخ الطوسي من أجله حياته وسهر عليه الليالي، وعلى إثر ذلك اضطر شيخ الطائفة إلى أن يهاجر إلى النجف الأشرف عام ٤٦٠هجرية واختار جوار الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهذا له معنى خاص، فمن المعروف أن تلاميذ أفلاطون لما كانت تستعصي عليهم مسألة علمية يأتون إلى قبره باعتبار أن الروح دائماً تجاور محل دفن الجسد فتلاميذه كانوا يفسّرون عملهم هذا بأن روح أفلاطون تمدهم بالعلم وتساعدهم وتغطيهم بالفيض، فكيف بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله)، الإمام علي (عليه السلام) الذي هو كنز علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاختار الشيخ الطوسي انطلاقاً من هذا المعنى جوار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانشأ هناك وجوداً علمياً، فقد اجتمع إليه جماعة من الطلبة واختار منزلاً بسيطاً وهو الآن مسجد الشيخ الطوسي، بعد ذلك اتسعت مدرسة الشيخ الطوسي في النجف وأخذت تتقدم يوماً بعد يوم، وقد خدم العالم الإسلامي لا سيّما مذهب الإمامية خدمات جليلة من خلال تربية آلاف التلاميذ، والذين من بينهم العشرات من العلماء والمجتهدين، كما قدّم تراثاً علمياً ضخماً حيث ألّف العشرات من الكتب العلمية الخالدة والتي لا يزال لها أثرها المشهود، فقد زادت مؤلفاته على الخمسين مؤلفاً في مختلف العلوم، ومن خدماته تأسيس طريقة الإجتهاد المطلق، وتأليف الكتب الكاملة والقيمة في الفقه والأصول، وجعل اجتهاد الشيعة مستقلاً في مقابل اجتهاد أهل السنة خصوصاً مذاهبهم المهمة.

وفي عام ٤٦٠ توفي الشيخ الطوسي عن عمر ناهز الخامسة والسبعين سنة في النجف وبوصية منه دفن في بيته، وبوصية منه تحول بيته إلى مسجد، وأصبح الآن مسجده من أشهر المساجد وفيه مزاره يؤمّه الناس وعرف باسمه وهو مؤسس الحوزة العلمية في النجف، نسأل الله له الرحمة والرضوان.

مؤلفاته:

للشيخ الطوسي مؤلفات عديدة أهمها: (تهذيب الأحكام): أحد الكتب الأربعة والمجاميع القديمة المعوّل بها عند الأصحاب، أستخرجه الشيخ من الأصول المعتمدة للقدماء، (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار): وهو أحد الكتب الأربعة أيضاً ومن المجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم، ومنها أيضاً: اختيار معرفة الرجال، الأمالي، التبيان في تفسير القرآن، تلخيص الشافي، تمهيد الأصول، الجمل والعقود، الخلاف في الأحكام، رياضة العقول، العدة في الأصول، الغيبة، الفهرست، المبسوط، مصباح المتهجد، مقتل الحسين(عليه السلام)، والكثير من الكتب الأخرى.

الآداب في اختيار الأسماء

لا شك أن مسألة الأسماء من المسائل المهمة في حياة الناس، إذ الاسم عنوان المسمى ودليل عليه وضرورة للتفاهم معه ومنه وإليه، وهو للمسمى زينة ووعاء وشعار يُدعى به في الآخرة والأولى، وتنويه بالدين، وإشعار بأنه من أهل هذا الدين، وهو في طبائع الناس له اعتباراته ودلالاته.

فجاء الإسلام ليدعو إلى اختيار أسماء حسنى للأولاد معتبراً أنّها من أولى حقوق الأولاد على والديهم، فقد ورد أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسأله: ما حقّ ابني هذا؟ فأجاب (صلى الله عليه وآله): (تحسِّن اسمه وأدبه وتضعه موضعاً حسناً) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٠، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (أول ما يبر الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٨٩.

وربط الإسلام بين تسمية الولد ونداء يوم القيامة حينما قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ما ورد عنه: (استحسنوا أسماءكم فإنّكم تُدْعَوْن بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٨٩.

تغيير الاسم:

ولم يكتف النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهذه الدعوة، بل كان يغيِّر عمليّاً الأسماء القبيحة في الناس والبلدان أيضاً، فعن الإمام الباقر(عليه السلام): (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغير الأسماء القبيحة من الرجال والبلدان) البحار: ج١٠١، ص١٢٧، واقتدى أئمة أهل البيت(عليهم السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدعوة والعمل، لتغيير الأسماء القبيحة إلى الحسنة، فقد روى أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه دخل عليه وهو واقف على رأس ابنه موسى (عليه السلام) وهو في المهد، فدنا هذا الرجل من الإمام فقال (عليه السلام): (اذهب فغيِّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس، فإنّه اسم يبغضه الله)، وكان الرجل كما يحدِّث عن نفسه قد سمى ابنته (حميراء) فغيَّر الرجل اسمها. وسائل الشيعة، ج٢١، ص٣٨٩.

الاسم معنى وقدوة:

ودعا الإسلام إلى تسمية الأولاد بملاحظة أمرين:

الأوّل: المضمون والمعنى: دعا إلى التسمية بالأسماء التي تحمل معنى العبوديّة كـ (عبد الله)، فعن النبيّ (صلى الله عليه وآله): (ألا إنّ خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن...، وشرُّ الأسماء ضرار ومرّة وحرب وظالم) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٩، وعن

الإمام الباقر(عليه السلام): (أصدق الأسماء ما سمّي بالعبودية...) الكافي: ج٦، ص١٨.

الثاني: صلاح حال المسمى باسمه:

فالوليد الجديد إذا سمي باسم سيكون صاحب ذلك الاسم بالنسبة له قدوة حسنة أو سيئة يقتدي به من حيث لا يشعر، ولذا ورد استحباب التسمية بأسماء الصالحين وأولهم الأنبياء (عليهم السلام)، فعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وهو يتحدّث عن أفضل الأسماء: (...وأفضلها أسماء الأنبياء) الكافي: ج٦، ص١٨، وقد بيَّن نبيّ الإسلام أثر التسمية باسم الأنبياء حين قال(عليه السلام) -في ما ورد عنه-: (إذا كان اسم بعض أهل البيت اسم نبيّ لم تزل البركة فيهم) مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٢٩، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من أهل بيت فيهم اسم نبيّ إلاّ بعث الله عز وجل إليهم ملكاً يقدّسهم بالغداة والعشيّ) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٢.

بركة بعض الأسماء:

اسم النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

وبما أنّ خاتم الأنبياء محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سيّد بني البشر وأفضل قدوة فيهم، فقد ورد الحثّ الأكيد على التسمية باسمه الشريف، بل ورد عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: (من ولد له ثلاثة بنين ولَمْ يسمِّ أحدهم محمّداً فقد جفاني) بحار الأنوار: ج١٠١، ص١٣٠، وحدّثنا الإمام الرضا (عليه السلام) عن أثر التسمية باسم النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (البيت الذي فيه اسم محمّد يصبح أهله بخير ويمسون بخير) بحار الأنوار: ج١٠١، ص١٣١، وتأكيداً على استحباب التسمية باسم خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد استحباب تسمية كلّ ذكر باسم محمّد أوّل سبعة أيام، ثمّ إمّا يُترك على حاله أو يُغيَّر إلى اسم آخر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (لا يولد لنا مولود إلّا سمَّيناه محمّداً، فإذا مضى سبعة أيّام، فإذا شئنا غيَّرنا، وإلا تركنا) بحار الأنوار: ج١٠١، ص١٣١، واحتراماً للنبيّ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وردت خصوصيّة التعامل مع من سمِّي باسمه فعن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا سمّيتم محمّداً فلا تقبّحوه، ولا تجهوه، ولا تضربوه، بورك لبيت فيه محمّد، ومجلس فيه محمّد، ورفقة فيها محمّد) بحار الأنوار: ج١٦، ص٢٣٩.

أسماء أهل البيت (عليهم السلام):

وكما حبَّذ الإسلام وحثَّ على التسمية باسم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما في ذلك من أثر طيّب وتعزيز للقدوة الصالحة، فقد حثَّ على التسمية بأسماء أهل بيته الكرام (عليهم السلام) لنفس ذلك السبب، فقد ورد أن أحدهم سأل الإمام: فينفعنا ذلك؟ فقال (عليه السلام): (إي والله وهل الدين إلاّ الحب، قال الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾) بحار الأنوار: ج٢٧، ص٩٥، وعن الإمام أبي الحسن (عليه السلام) قوله: (لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء) الكافي: ج٦، ص١٩.

اسم أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

ومن بين أسماء أهل البيت (عليهم السلام) أكَّد أهل بيت العصمة على التسمية باسم عليّ (عليه السلام) وبيَّنت الأحاديث الأثر الطيّب لهذه التسمية المباركة، فقد ورد أنّ الإمام الباقر (عليه السلام) قال لابن صغير: (ما اسمك؟ قال: محمّد، قال بم تكنّى؟ قال: بعليّ، قال أبو جعفر: لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمّد، أو يا عليّ، ذاب كما يذوب الرصاص) الكافي: ج٦، ص٢٠.

اسم فاطمة (عليها السلام):

وأعطى الإسلام مزيّة لاسم فاطمة كرامة للسيّدة الزهراء (عليها السلام) فإضافة إلى ما ورد من أنّ البيت الذي فيه بنت اسمها فاطمة لا يدخله الفقر كما تقدّم، ورد عن السكوني أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا مغموم مكروب فقال لي: (يا سكوني ما غمّك؟ قلت ولدت لي ابنة، فقال(عليه السلام): يا سكوني على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرّي والله عنّي، فقال: ما سميّتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه آه، ثمّ وضع يده على جبهته - إلى أن قال (عليه السلام): أمَّا إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٨٢.

كنية الولد:

وكما اهتمّ الإسلام بحسن التسمية اهتمّ أيضاً بحسن الكنية، من هنا جاءت دعوة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الكنية الحسنة بقوله: (ويسمّى بأحسن الأسماء ويكنّيه بأحسن الكُنَى) بحار الأنوار: ج١٠١، ص١٢٦، لكن مع كراهة في بعض الكُنى منها أن يكنّى من اسمه محمّد بأبي القاسم بحار الأنوار: ج١٠١، ص١٢٦؛ فإنّ هذه الكنية مع هذا الاسم مختصّان بالنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأجل أن يزيد الإسلام من أواصر العلاقة بين الوالد والولد دعاء إلى أن يكنّى الولد باسم أبيه، فإذا كان اسم الأب (عليّاً)، يكنّى ابنه بـ"أبي عليّ" وهذا ما يشعر الولد بمزيد علاقة ودّ بأبيه وهو يكنّى باسمه، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من السنّة والبرّ أن يكنّى الرجل باسم أبيه) الكافي: ج٢، ص١٦٢.

الإمامة

الحلقة الخامسة عشر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

تقدم فيما سبق من الحلقات جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله التي تدل بصورة واضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ونورد في هذه الحلقة حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله فيه دلالة واضحة لا ينكرها إلا مكابر أعمى الله بصره وبصيرته.

حديث: (من آذى عليّا فقد آذاني)

ذكر العلامة الحلي قدس سره في كتابه نهج الحق/ ص٢٢٢ الحديث حيث قال: في (مسند أحمد)من عدّة طرق، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (من آذى عليّا فقد آذاني، أيّها الناس ! من آذى عليّا بُعث يوم القيامة يهوديّا أو نصرانيّا).

وجه الاستدلال:

استدل علماء المسلمين بهذا الحديث على إمامة الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام، منهم الشيخ محمد حسن المظفر في دلائل الصدق، ج٦، حيث قال: وهو «أي الحديث» يقتضي وجوب طاعة عليّ عليه السلام؛ لأنّ عصيانه يؤذيه بالضرورة، ووجوب طاعته على

الإطلاق يقتضي عصمته وإمامته، وإذا ضممت إلى الحديث قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)، الأحزاب: ٥٧، علمت حال الناكثين والقاسطين وغيرهم.

لماذا العصمة ؟

ذهبت الإمامة إلى أنّ الأئمّة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت، عمدا وسهوا، لأنّهم حفظة الشرع والقوّامون به، حالهم في ذلك كحال النبيّ صلى الله عليه وآله، ولأنّ الحاجة إلى الإمام إنّما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادّة الفتن، وأنّ الإمام لطف يمنع القاهر من التعدّي، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفسّاق، ويعزّر من يستحقّ التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت منه، انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر، وتسلسل.

علاقة العصمة بالإمامة:

١. بيان التسلسل: إنّ الحاجة إلى الإمام في تلك الفوائد توجب عصمته، وإلّا لافتقر إلى إمام آخر وتسلسل؛ لأنّ غير المعصوم إمّا فاسق أو عادل، وبالضرورة أنّ الفاسق لا تحصل منه تلك الفوائد ولو بالنسبة إلى نفسه فيحتاج إلى غيره، والعادل كذلك؛ لأنّ الصغائر قد تحصل منه لأنّها لا تنافي العدالة، والكبائر ربّما تقع منه أيضا، ولو لا أنّه قد يفسق فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن الصغائر والكبائر لو وقعت، أو يحترز به عن وقوعها. كما إنّ الخطأ غير مأمون عليه، فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عمّا يخطأ به وإن كان معذورا، فإنّ معذوريّته لا تصحّح تفويت تلك الفوائد، وإلّا لما كانت موجبة للحاجة إلى الإمام. فتبتلي الأمّة بإمام فاسق لا يحصل منه محلّ الحاجة إلى الإمام، وهو ناشئ من عدم اعتبار العصمة والاكتفاء بالعدالة، ولا سيّما مع كون العدالة الواقعية عسرة الإحراز، وإنّما تثبت ظاهرا، إذ ربّما كان العادل في الظاهر فاسقا في الواقع، فتبتلي الأمّة من أوّل الأمر بإمام فاسق، فلا يحصل محلّ الحاجة إلى الإمام ولو بالنسبة إلى نفسه، فيجب نصب إمام آخر على جميع الوجوه، لئلّا تفوت الفوائد المطلوبة ويتسلسل.

> (من آذى عليّا فقد آذاني، أيّها الناس ! من آذى عليّا بُعث يوم القيامة يهوديّا أو نصرانيّا)

٢. العصمة والإطاعة: قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء: ٥٩، المراد بالآية بيان عصمة الرسول وأولي الأمر، وأنّهم لا يأمرون ولا ينهون إلّا بحقّ، فإنّه تعالى أوجب طاعة أولي الأمر على الإطلاق كطاعته وطاعة الرسول، وهو لا يتمّ إلّا بعصمة أولي الأمر ـ الذين نصبهم وعينهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ـ، فإنّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية وتحرم طاعته فيها، فلو وجبت أيضا اجتمع الضدّان، وجوب طاعته وحرمتها .

٣. الأمر بالمعروف والعصمة: إنّ الإمام لو عصى لوجب الإنكار عليه والإيذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مفوّت للغرض من نصبه، ومضادّ لوجوب طاعته وتعظيمه على الإطلاق المستفاد من قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). كما إنّه لو صدرت المعصية منه لسقط محلّه من القلوب، فلا تنقاد لطاعته، فتنتفي فائدة النصب .

وأيضا لو عصى لكان أدون حالا من أقلّ آحاد الأمّة؛ لأنّ أصغر الصغائر من أعلى الأمّة وأولاها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي، أقبح وأعظم من أكبر الكبائر من أدنى الأمّة .

طريق النجاة:

تقدم في العدد السابق أن حب الإمام علي عليه السلام موجب لدخول الجنة وبغضه وإيذائه سبب لدخول النار، وقد ثبت وجوب الاقتداء به والإتباع له بعد النبي صلى الله عليه وآله والمنع من تقدم غيره عليه، فإن هذا يوجب إيذائه وإيذاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، بل تقدم غيره قد أخل في تلك المدة بما وجب عليه من الطاعة له.

وبعبارة أخرى: قد ثبت أن حبه عليه السلام طريق النجاة وبغضه وإيذاءه سبيل الهلاك، وسلوك حبه والكف عن إيذائه إنما هو بقبول أوامره ونواهيه، فمن قدم عليه غيره بعد الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن ممتثلا لأمره ونهيه عليه السلام، فيخرج عن طريق محبته ويدخل في سبيل مبغضيه والمؤذين له، ومتى خرج عن محبته ضل عن طريق إسلامه، فوجب تقديمه بعد النبي صلى الله عليه وآله عقلا وسمعا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.

أهم مُناسبات شهر جمادى الأولى

إعطاء الزهراء (عليها السلام) قميص إبراهيم الخليل لابنتهما زينب (عليها السلام)

يقال ان في العاشر من جمادى الأولى أعطت الزهراء (عليها السلام) قميص إبراهيم الخليل لأبنتها زينب(عليها السلام)، وأوصتها أن تعطيه لأخيها الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء، وقالت: إذا طلبه منك أخوك الحسين فاعلمي أنه ضيفك ساعة ثم يقتل، وكان ذلك قبل وفاة الزهراء(عليها السلام) بثلاثة أيام.

ولادة الإمام زين العابدين(عليه السلام) (على رواية)

في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة (٣٦هـ)، ولد الإمام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) (على رواية). أمه شهربانو بنت يزدجر، توفيت في النفاس عند ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام.

مقتل محمد بن أبي بكر (رضوان اللّه عليه)

في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٣٨ للهجرة قتل عابد قريش محمد بن أبي بكر ربيب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على يد الملعون عمرو بن العاص حيث وضعه بعد موته في جلد حمار واحرقه، ومحمد بن أبي بكر هو الذي قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حقه: (فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا) (الرسالة رقم ٣٥ من رسائل نهج البلاغة).

استشهاد زيد بن صوحان (رضوان اللّه عليه)

في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٣٦ للهجرة قتل زيد بن صوحان الذي كان يقاتل في ضمن جيش أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في حرب الجمل، وهو اخو صعصعة بن صوحان العبدي كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان من الأبدال، وقد وردت في فضله روايات عديدة.

وفاة القاسم بن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)

في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٩٢هـ توفي القاسم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) على رواية. ولم تحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته، إلاّ أنّه من مواليد القرن الثاني الهجري، وأُمّه أُمّ ولد ، تكنّى بأُمّ البنين.

ويذكر أهل التاريخ إن القاسم (عليه السلام) هاجر إلى مدينة الحلة في منطقة تسمى بحي (باخمرا) نسبة إلى كثرة خمار الطين – وهو التراب المخلوط بالماء والتبن المستخدم في البناء – بعد أن تعرض للظلم من قبل الطغاة تاركا الأهل والأولاد ومجاورة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيت الله المعظم وبقي في هذا المكان إلى أن وفاه الأجل، وقبره اليوم معروف يُزار وتعلوه قبة من الذهب، ويقع في حي باخمرا في ناحية القاسم بين مدينتي الحلّة والديوانية. عاصر خلال حياته الشريفة أربعة من حكام بني العباس وهم الدوانيقي،

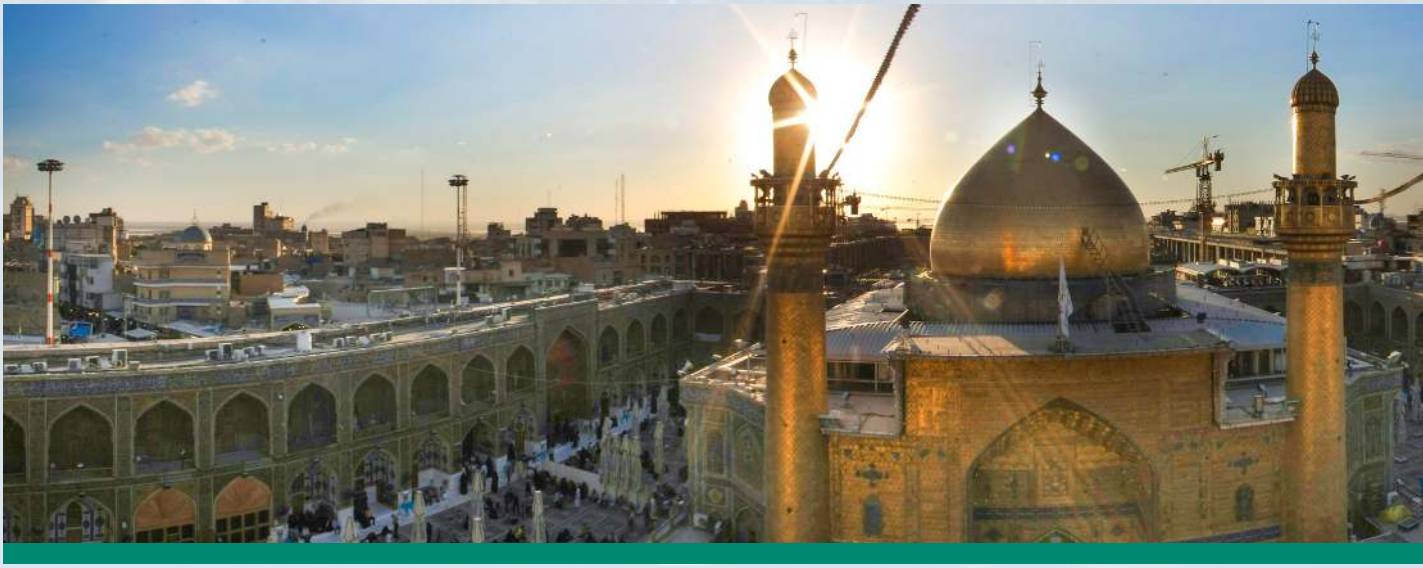

المهدي، الهادي وهارون.

وكان سلام الله عليه جليل القدر ويكفي في جلالة شأنه ما رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي في باب النص عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن يزيد بن سليط عن الإمام الكاظم عليه السلام في طريق مكة وفي ان الإمام قال له: (...اخبرك يا أبا عمارة إني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان وأشركت معه بني في الظاهر وأوصيته في الباطن فأفردته وحده ولو كان الأمر إلي لجعلته في القاسم ابني لحبي إياه ورأفتي عليه ولكن ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء...).

وعن سليمان الجعفري انه قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام (عندما احتضر أحد أولاده) يقول لإبنه القاسم: (قم يا بني فاقرأ عند رأس أخيك (والصافات صفا) حتى تستتمها، فقرأ فلما بلغ: (... أهم أشد خلقاً أم من خلقنا...) قضى الفتى).

فيظهر من هذين الخبرين كثرة عناية وتوجه الإمام عليه السلام إلى القاسم.

تجدد الاعتداء على مرقد الإماميين العسكريين بتفجير المأذنتين الشريفتين

في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٢٨هـ تجدد الاعتداء على مرقد الإماميين العسكريين، بتفجير المأذنتين الشريفتين من قبل زمر الوهابية، وفي وقتها صدر بيانا من مكتب المرجع الأعلى للطائفة الشيعية سماحة السيد السيستاني (دام ظله) يدين هذا العمل الإجرامي الأثيم جاء فيه:

عادت الأيادي الآثمة لتنتهك مرة أخرى حرمة الروضة العسكرية المطهرة في سامراء وتستهدف ما تبقى من معالمها المقدسة من المأذنتين الشريفتين، في جريمة بشعة تعبر عن مدى حقد مرتكبيها وبغضهم لآل النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسعيهم المتواصل لإشعال نار الفتنة الطائفية بين أبناء العراق العزيز.

ان المرجعية الدينية اذ تعبّر عن غضبها واستنكارها البالغ لهذا الاعتداء الآثم، وتبدي أسفها الشديد لتلكؤ السلطات المسؤولة عن القيام بواجبها في حماية المرقد الشريف، تناشد المؤمنين الأعزاء أن يتحلّوا، في هذه الأوقات العصيبة، بمزيد من الصبر وضبط النفس ويتجنبوا القيام بأي عمل انتقامي يستهدف الأبرياء والأماكن المقدسة للآخرين.

اننا نأمل أن تبادر الحكومة إلى تنفيذ وعدها باتخاذ خطوات سريعة لتوفير الحماية اللازمة للحرم المقدس وإجراءات إعادة تشييده، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. (مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الأشرف ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٨).

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنتين السابقتين لشهر جمادى الأولى فمن أراد الاطلاع فاليراجع.

قال الإمام علي عليه السلام:
(اللّهم نوّر قلبه بالتُقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أنّ في جندي مائة مثلك)

إن في دراسة أمثال هؤلاء الأفذاذ (شهداء الولاية) قدوة وعبرة لغيرهم، من أجل مواصلة الطريق الذي سلكوه في سبيل الدفاع عن هذا الولاء المقدس، الذي يمثل الإسلام الأصيل، وطريق الكمال والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والحفاظ على تلك المبادئ والمكتسبات مهما كانت التضحيات.

اسمه وكنيته ونسبه: أبو عبد الرحمن، حُجْر بن عَدِي بن معاوية الكِنْدي، المعروف بحُجر الخير.

ولادته: لم تُحدّد لنا مصادر التاريخ ولادته ومكانها، إلّا أنّه من أعلام القرن الأوّل الهجري، ومن المحتمل أنّه ولد في الكوفة باعتباره كوفيا.

صحبته: كان (رضي الله عنه) من أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله)، والإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين(عليهم السلام).

جوانب من حياته:

* اشترك مع الإمام علي(عليه السلام) في حروبه كلّها: الجمل وصفّين والنهروان، وكان فيها من قادة الجيش.
* عيّنه الإمام علي(عليه السلام) أميراً على أربعة آلاف رجلاً؛ لردّ غارة الضحّاك بن قيس الفهري على أطراف العراق. الفتوح احمد بن أعثم الكوفي:ج٤، ص٣٧.
* كان أحد الذين اشتركوا في دفن أبي ذر الغِفاري (رضي الله عنه) في الربذة، والذين شهد لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنّهم عصابة من المؤمنين، قال(صلى الله عليه وآله): (... ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين...) بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٢، ص٤٢٠.
* كان من أهل الكوفة الذين كتبوا إلى عثمان ينقمون عليه أُمورا، ينصحونه وينهونه عنها.

من أقوال النبي(صلى الله عليه وآله) فيه:

١ـ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (سيُقتل بعذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء) كنز العمال للمتقي الهندي: ج١١، ص١٢٦.

٢ـ وقال: (صلى الله عليه وآله): (يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٣١.

من أقوال الإمام علي(عليه السلام) فيه:

١ـ قال (عليه السلام): (اللّهم نوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أنّ في جندي مائة مثلك) بحار الأنوار للمجلسي: ج٣٢، ص٣٩٩.

٢ـ وقال(عليه السلام): (يا أهل العراق، سيُقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٢، ص١٠٧.

من أقوال العلماء فيه:

١ـ قال الشيخ الطوسي(قدس سره):(وكان من الأبدال) رجال الشيخ الطوسي: ص٦٠، رقم٥١٥.

والأبدال: الأولياء والعبّاد، سمّوا بذلك لأنّهم كلّما مات منهم واحد أُبدل بآخر.

٢ـ قال السيّد علي خان المدني(رحمه الله): (يُعدّ من الرؤساء والزهّاد، ومحبّته وإخلاصه لأمير المؤمنين (عليه السلام) أشهر من أن تُذكر) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني: ص٤٢٣.

٣ـ قال السيّد محسن الأمين(رحمه الله): (هو من خيار الصحابة، رئيس، قائد، شجاع، أبيّ النفس، عابد، زاهد، مستجاب الدعوة، عارف بالله تعالى، مسلّم لأمره، مطيع له، مجاهر بالحق، مقاوم للظلم، لا يبالي بالموت في سبيل ذلك) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ج٤، ص٥٧١.

عدم براءته من الإمام علي(عليه السلام):

قال(رضي الله عنه): (قال لي الإمام علي (عليه السلام): (كيف تصنع أنت إذا ضربت وأُمرت بلعنتي؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال: العنّي ولا تبرأ منّي، فإنّي على دين الله) رجال الكشي للشيخ الطوسي: ج١، ص٣١٩.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وأمر المغيرة بن شعبة ـ وهو يومئذٍ أمير الكوفة من قبل معاوية ـ حُجر بن عَدي أن يقوم في الناس، فيلعن عليّاً(عليه السلام)، فأبى ذلك، فتوعّده، فقام فقال: أيّها الناس، إنّ أميركم أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه، فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤، ص٥٨.

إرساله إلى معاوية:

كتب والي الكوفة زياد بن أبيه كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان يذكر له عدم تحمّله من وجود حُجر في الكوفة، فأمره معاوية أن يرسله إليه موثقاً بالحديد، وعندئذٍ أرسل زياد حُجراً وأصحابه إلى معاوية.

قال لي الإمام علي (عليه السلام) (كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي ؟ قلت له : كيف أصنع ؟ قال: العنّي ولا تبرأ منّي، فإني على دين الله)

شهادته:

لمّا وصلوا إلى قرية عذراء جاء رسول معاوية إليهم قائلاً: (إنّا قد أُمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وأن أبيتم قتلناكم، وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنّه قد عفا عن ذلك فابرأوا من هذا الرجل نُخَلِّ سبيلكم.

قالوا: اللّهم إنّا لسنا بفاعلي ذلك، فأمر بقبورهم فحفرت وأدنيت أكفانهم.

ثمّ إنّ حُجراً قال لهم: دعوني أتوضّأ، قالوا له: توضّأ، فلمّا توضّأ قال لهم: دعوني أُصلّي ركعتين، فأيمُن الله ما توضّأت قطّ إلّا صلّيت ركعتين، قالوا: ليصل، فصلّى ثمّ انصرف، فقال: والله ما صلّيت صلاة قطّ أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٠٥.

وقال المسعودي في تأريخه: وفي سنة ثلاث وخمسين قَتَل معاوية حُجْر بن عَديّ الكِنْدي وهو أول من قتل صبرا في الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها، ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية فبعث برجل أعور، فلما أشرف على حجر وأصحابه، قال رجل منهم: إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقون، أما ترون الرجل المقبل مصاب بإحدى عينيه؟ فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي أبي تراب وقتل أصحابك إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتبرأوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كان معه: (إنّ الصبر على حَدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٤، ودُفن في نفس المنطقة وهي مرج عذراء التي تبعد(٢٥ كلم) عن دمشق، وقبره معروف يُزار.

أدب المعاملة ج٤

الحث على الصَّمت وحُسْن الاستماع:

الصمت وحُسن الاستماع مهارة لابدّ من إتقانها لما لذلك من أهمية كبرى في بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعة، وهي وسيلة مُجدية في إيجاد الفهم المتبادل بين الناس ومساعدتهم في حلّ مشاكلهم، والتخفيف من آلامهم، وما يحسون به من ضيقٍ وحزن.

وقد نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة حُسن الاستماع، قال تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) سورة الزمر :آية ١٨، وعن الإمام علي عليه السلام: (عود أذنك حسن الاستماع، ولا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك..) ميزان الحكمة محمد الريشهري: ج٢، ص١٣٦٢.

ومما ذكر في علم النفس في العصر الحديث في هذا الشأن ما نَصُّهُ: "إنّ الإنصات عظيم الفائدة، فهو يفتح لك نافذة لترى ما يدور في عقل الطرف الآخر، كما يجعل الطرف الآخر على استعداد للإنصات إليك. فلو أنّ الطرف الآخر كان غاضباً أو قلقاً، فلماذا لا تحاول أنْ تستمع إلى شكواه، لا تقاطعه حتى لو شعرت أنه مخطئ، أو أنه يهينك، ويمكنك أنْ تُشعره بإصغائك إليه عن طريق تركيز نظرك عليه، أو هزّ رأسك من آنٍ لآخر، أو ترديد عبارات مثل: «نعم، نعم» أو «أنا أفهم ما تقصده» وعندما ينتهي من حديثه، اسْأَله بهدوء إن كان لديه شيء آخر يريد أن يضيفه، وشجعه على أنْ يُفضي إليك بكل ما يضايقه، بأن تقول له مثلاً: «من فضلك استمر في حديثك» أو «ماذا حدث بعد ذلك؟».

وبمجرد أنْ تُنصت لما يريد الطرف الآخر أنْ يقوله، فغالباً ما سيؤدي ذلك إلى تهدئته، ليصبح أكثر تعقّلاً وأكثر استجابة بشأن حل المشكلة، واستصدار القرار المطلوب، فليس من قبيل الصدفة أنَّ أفضل المحاورين غالباً ما يستمعون أكثر مما يتكلمون" فن التفاوض لوليام أوري: ص٦٧- ٦٨.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنَّ براعة الإنصات تكون بالأذُن، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه، وعدم الانشغال بتحضير الردّ، وعدم الاستعجال بالردّ قبل إتمام الفهم، فإنّ كثيراً من الناس يخفقون في ترك أثر طيِّب في نفوس من يقابلونهم لأولّ مرة، لأنهم لا يُصغون إليهم باهتمام، إنهم يستمعون بنصف أُذُن، ويحصرون همهم فيما سيقولونه لمستمعهم، فإذا تكلّم المستمع لم يُلقوا له بالاً، عِلْماً بأنَّ أكثر الناس يُفضّلون المنصت الجيد على المتكلم الجيد، ومن حُسن الاستماع أنه إذا كان السامع عالماً بكلام المتحدث، فإنه ليس من الأدب مقاطعته ومداخلته فيه، بغرض الإظهار للآخرين معرفة هذا الحديث والعلم به.

ومن حُسن الأدب أيضاً، أنه إذا أشكل على المستمع شيء من كلام محدِّثه، فإن عليه أنْ يصبر حتى الانتهاء من الحديث، ثم يستفهم منه بأدب ولطف وتمهيدٍ حَسَنٍ للاستفهام، ولا يقطع عليه كلامه، فإنّ ذلك مخلٌّ بأدب الاستماع، إلا إذا كان المجلس مجلس دراسة وتعلّم، فإن له حينئذٍ شأناً آخر، ويحسن فيه السؤال والمناقشة عند تمام الجملة أو المعنى الذي يشرحه المعلِّم، وينبغي أنْ تكون المناقشة فيه بأدب وكياسة، فمن الأخلاق السيئة مغالبة الرجل على كلامه، والاعتراض فيه لقطع حديثه.

الحث على خفض الصوت وعدم رفعه:

من توجيهات القرآن الكريم في الحث على الأدب مع الآخرين، الدعوة إلى خفض الصوت وعدم رفعه، ويظهر هذا التوجيه جَليّاً فيما جاء على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه، قال الله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) سورة لقمان:آية ١٩، والحكمة في غضّ الصوت المأمور به، أنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع، وفَهْمِه. وأدب خفض الصوت ينبغي مراعاته مع جميع المخاطبين، بغضِّ النظر عن سِنِّهم ومكانتهم، غير أنه يزداد تأكيداً مع ذوي المكانة والشأن، وعلى هذا جاء التوجيه القرآني بخفض الصوت في حضرة النبي(صلى الله عليه وآله)، الوارد في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) سورة الحجرات:آية٢، وكذلك في حضرة الوالدين، كما يُفهم من قوله تعالى: (... فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) سورة الإسراء: آية ٢٣- ٢٤.

ولعلنا أحوج ما نكون إلى الهدوء وعدم رفع الصوت في الحوار الذي يجري مع المعارضين والمخالفين، فإنه يحسن بالمحاور ألا يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإنّ رفع الصوت لا يُقوِّي حجة صاحبه قط، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية. وقد وُجد بالخبرة والتجربة، أنَّ الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. وللكلام تتمة إن شاء الله تعالى.

الأسرة الخلية الأولى للمجتمع: ج٥

واجبات الأبناء:

أولى الإسلام رعاية الأبناء لآبائهم اهتماماً خاصاً، وأوجب عليهم طاعتهم المطلقة، وجعل عقوقهم من الكبائر التي توعّد عليها بالنار، لقد أعلن كتاب الله العظيم في غير آية من آياته لزوم الإحسان للأبوين ووجوب طاعتهما، وقرن ذلك بعبادته، وطاعاته قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَعْبُدُوا إِلاَ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

على هذا النهج القويم الذي يمثل أصالة الإسلام وخلوده في تربيته وتعاليمه يجب على المسلم أن يعامل أبويه، ويقابلهما بكل ما يملك من طاقات الخدمة والإحسان وأن يسخّر نفسه للعمل بما يرضي عواطفهما، ويشيع في نفوسهما روح الرضا والقبول، وقد تواترت الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة الهدى (عليهم السلام) بلزوم البر والإحسان إليهما، وفيما يلي بعض تلك النصوص.

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ نَشِيطٌ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله): (..فَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّكَ إِنْ تُقْتَلْ تَكُنْ حَيّاً عِنْدَ اللهِ تُرْزَقْ وإِنْ تَمُتْ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُكَ عَلَى اللهِ وإِنْ رَجَعْتَ رَجَعْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وُلِدْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) إِنَّ لِي وَالِدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَزْعُمَانِ أَنَّهُمَا يَأْنَسَانِ بِي وَيَكْرَهَانِ خُرُوجِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله): فَقِرَّ مَعَ وَالِدَيْكَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُنْسُهُمَا بِكَ يَوْماً وَلَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ جِهَادِ سَنَةٍ) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٦٠.

ويؤكد الإسلام بصورة خاصة على خدمة الأم والبر بها أكثر من الأب لأن حقوقها على الولد أكثر من حقوق الأب، فقد روى الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) أن رجلاً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: من أبر؟ قال (صلى الله عليه وآله): (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أباك) الخلاف للشيخ الطوسي: ج٥، ص١٢٤.

إن الولد مسؤول أمام الله عن رعاية أمه والبر بها، وتوفير ما تحتاج إليه جزاءً لأتعابها القاسية، وعنائها الشاق الذي بذلته في تربيته... فعن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل فقال: ان أبوّي عمّرا وان أبي مضى وبقيت أمي، فبلغ بها الكبر حتى صرت أمضغ لها كما يمضغ الصبي، وأوسدها كما يوسد الصبي، وعلقتها في مكتل أحركها فيه لتنام، ثم بلغ من أمرها إلى أن كانت تريد مني الحاجة فلا ندري أي شيء هو، فلما رأيت ذلك سألت الله عز وجل أن ينبت علي ثديا يجري فيه اللبن حتى أرضعها، قال: ثم كشف عن صدره فإذا ثدي، ثم عصره فخرج منه اللبن، ثم قال: هو ذا أرضعتها كما كانت ترضعني، قال: فبكى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ثم قال: (أصبت خيرا، سألت ربك وأنت تنوي قربته، قال: فكافأتها؟ قال: لا، ولا بزفرة من زفراتها) مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي: ج١٥، ص١٩٩.

وإن البر بالوالدين، ولزوم طاعتهما، والقيام بجميع ألوان الخدمة لهما كل ذلك من العناصر الأساسية في التربية الإسلامية الهادفة إلى تماسك المجتمع على أساس من المودة الصادقة والحب المتبادل.

والحمد لله رب العالمين.

قارون غرور الثروة جره إلى الكفر

الحلقة الأولى

وقع الكلام على مواجهة بني إسرائيل مع رجل ثري منهم يدعى (قارون)، قارون هذا كان مظهراً للثراء المقرون بالكبر والغرور والطغيان، وأساساً، فإن موسى (عليه السلام) واجه في طول حياته ثلاث قوى استكبارية طاغوتية:

١- (فرعون) الذي كان مظهراً للقوة (والقدرة في الحكومة).

٢- (قارون) الذي كان مظهراً للثروة والمال!

٣- (السامري) الذي كان مظهراً للنفاق والصناعة.

وبالرغم من أهم مواجهات النبي موسى (عليه السلام) هي مواجهته لفرعون و(حكومته) إلا أنّ مواجهتيه الأخيرتين لهما أهمية كبيرة أيضاً، وفيهما دروس ذات عبر ومحتوى كبير.

المعروف أن (قارون) كان من أرحام موسى وأقاربه (ابن عمه أو ابن خالته) وكان عارفاً بالتوراة، وكان في بداية أمره مع المؤمنين، إلا أن غرور الثروة جره إلى الكفر ودعاه إلى أن يقف بوجه موسى (عليه السلام) فأماته الله ميتة ذات عبرة للجميع.

يقول القرآن في شأنه أولاً: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) سورة القصص: آية ٧٦، وسبب بغيه وظلمه أنه كان ذا ثروة عظيمة، ولأنه لم يكن يتمتع بإيمان قوي وشخصية متينة فقد غرته هذه الثروة الكبيرة وجرته إلى الانحراف والاستكبار، يصف القرآن ما عنده من ثروة فيقول: (..وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ..) سورة القصص: آية ٧٦.

إن قارون كان ذا مال كثير ووفير من الذهب والفضة، بحيث كان يصعب حمل صناديقها على الرجال الأشداء.

خمس عظات:

يقول القرآن في هذا الصدد: (..إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ..) سورة القصص: آية ٦٧، ثم يقدمون له أربع نصائح قيمة أخرى ذات تأثير مهم على مصير الإنسان، بحيث تتكامل لديه حلقة خماسية من النصائح مع ما تقدم من قولهم له: (لَا تَفْرَحْ).

فالنصيحة الأولى: قولهم له: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) سورة القصص: آية ٧٧، وهذا إشارة إلى أن المال والثروة ليس أمراً سيئاً كما يتصوره بعض المتوهمين، المهم أن تعرف فيم يستعمل المال، وفي أي طريق ينفق، فإذا ابتغي به الدار الآخرة فما أحسنه! أو كان وسيلة للعب والهوى والظلم والتجاوز، فلا شي أسوأ منه!

والنصيحة الثانية: قولهم له: (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) سورة القصص: آية ٧٧، والقرآن يشير إلى مسألة واقعية، وهي أن لكل فرد منا نصيباً من الدنيا، فالأموال التي يصرفها على بدنه وثيابه ليظهر بمظهر لائق هي أموال محدودة، فعلى الإنسان أن لا ينسى هذه الحقيقة.

والنصيحة الثالثة: هي: (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) سورة القصص: آية ٧٧، وهذه حقيقة أخرى، وهي أن الإنسان يرجو دائما نعم الله وإحسانه وخيره ولطفه، وينتظر منه كل شيء، فبمثل هذه الحال كيف يمكن له التغاضي عن طلب الآخرين الصريح أو لسان حالهم.. وكيف لا يلتفت إليهم!.

والنصيحة الرابعة: والأخيرة أن لا تغرنك هذه الأموال والإمكانات المادية فتجرك إلى الفساد. (..وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) سورة القصص: آية ٧٧، وليس من المعلوم بدقة من هم الناصحون لقارون يومئذٍ ولكن القدر المسلم به أنهم رجال علماء متقون، أذكياء، ذوو نجدة وشهامة، عارفون للمسائل الدقيقة الغامضة!.

جواب قارون:

والآن لنلاحظ ما كان جواب هذا الإنسان الباغي والظالم الإسرائيلي لجماعته الواعظين له!. فأجابهم قارون بتلك الحالة من الغرور والتكبر الناشئة من ثروته الكبيرة، (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) سورة القصص: آية ٧٨، فهذا لا يتعلق بكم، وليس لكم حق أن ترشدوني إلى كيفية التصرف بمالي، فقد أوجدته بعلمي وإطلاعي، ثم إن الله يعرف حالي ويعلم أني جدير بهذا المال الذي أعطانيه، وعلمني كيف أتصرف به، فلا حاجة إلى تدخلكم!. وبعد هذا كله فقد تعبت وبذلت جهوداً كبيرة في سبيل جمع هذا المال، فإذا كان الآخرون جديرين بالمال، فلم لا

يتعبون ويجهدون أنفسهم؟ فلست مضايقاً لهم، وإذا لم يكونوا جديرين، فليجوعوا وليموتوا فهو أفضل لهم.
هذا المنطق المغلوط والمفضوح طالما يردده الأثرياء الذين لاحظ لهم من الإيمان أمام من ينصحهم، وهذه اللطيفة جديرة بالالتفات إليها، وهي أن القرآن لم يصرح بالعلم الذي كان عند قارون وأبقاه مبهماً، ولم يذكر أي علم كان عند قارون حتى استطاع بسببه على هذه الثروة الطائلة! أهو علم الكيمياء، أم هو علم التجارة والصناعة والزراعة، أم علم الإدارة الخاص به، الذي استطاع أن يجمع هذه الثروة العظيمة، أم جميع هذه العلوم!
وهنا يجيب القرآن على قول قارون وأمثاله من المتكبرين الضالين، فيقول: (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) سورة القصص: آية ٧٨، أتقول: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) سورة القصص: آية ٧٨، ونسيت من كان أكثر منك علماً وأشد قوة وأثرى مالاً، فهل استطاعوا أن يفروا من قبضة العذاب الإلهي؟!
وللكلام تتمة إنّ شاء الله تعالى.

كتابةٌ عند جنازة عزيز

عهد المجتهد الكبير آية الله العظمى الشيخ محمد حسن النجفي رحمه الله على نفسه، أن يكتب كل ليلة قسطاً من كتابه الفقهي الاستدلالي الكبير المعروف بـ (جواهر الكلام) الذي يعتبر عند الفقهاء من أهم مصادر البحث العلمي في الفقه الإسلامي، ففي تلك الليلة التي مات فيها ابنه العزيز، حضر جنازته وبيده قلمه وأوراقه، يكتب أسطراً من الكتاب ودموعه منهمرة على لحيته البيضاء، والحزن يعصر قلبه على ذلك المصاب الجلل.
يقول الشيخ عباس القمي (صاحب كتاب مفاتيح الجنان): حدّثني الشيخ الفقيه الحاج ميرزا حسين بن الميرزا خليل الطهراني، أنه كان لصاحب الجواهر ولد رشيد، اسمه الشيخ حميد، وكان متكفلاً بكل أمور والده، والشيخ صاحب الجواهر متفرغاً لتأليف كتابه الفقهي، ولا يحمل همّ الأمور المعاشية، فتوفي ولده هذا دفعةً، فحزن عليه الشيخ وقال: انقطعت بي الأسباب، وضاق صدري وضاقت الدنيا في عيني، صرت لا أستقر ليلاً ولا نهاراً، دائم التفكر، مضطرب القلب حزيناً كئيباً، وبينما أنا كذلك وقد خرجت من مجلس كنت فيه أول الليل، وأنا متوجه إلى البيت؛ إذ نوديت من خلفي: لا تفكر، لك الله، فالتفتُّ من حولي لم أرَ أحداً، فحمدت الله تعالى وتوجّهت إليه، ففُتحت عليَّ بعد تلك الليلة أبواب رحمته، وانتظمت أموري وترقّت أحوالي. الفوائد الرضوية الشيخ عباس القمي: ص٤٥٤.
عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، وتفويض الامر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عزّ وجل) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٧.

إن لم تساعدوا الناس ... فلا تحتقروهم

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة !
كان المطر يهطل بشده، معانقا الأرض التي اشتاق لها كثيرا .. بعد طول غياب كان البعض ممسكا بمظله تحميه من المطر والبعض يجري ويحتمي بسترته من المطر...
في هذا الجو البارد والمطر الشديد كان هناك رجل واقف كالصنم ! بملابس رثه .. قد تشقق البعض منها لا يتحرك .. حتى أن البعض ظنه تمثالا ! شارد الذهن .. ودمعة تبعث الدفئ على خده
نظر له أحد المارّة باستحقار .. سائلا .. ألا تملك ملابس أفضل ؟ واضعا يده في محفظة النقود وبعينيه نظرة تكبر قائلا : هل تريد شيئا ؟
فرد بكل هدوء : أريد أن تغرب عن وجهي !
فما كان من السائل إلا أن ذهب وهو يتمتم...تبا لهذا المجنون !
جلس الرجل تحت المطر لا يتحرك إلى أن توقف المطر ! ثم ذهب بعدها إلى فندق في الجوار !!
فأتاه موظف الاستقبال ... وقال له: لا يمكنك الجلوس هنا ويمنع التسول هنا رجاءا !
فنظر إليه نظرة غضب .. وأخرج من سترته مفتاح عليه رقم ١b((رقم ١ هو أكبر وأفضل جناح في الفندق حيث يطل على النهر))ثم أكمل سيره إلى الدرج والتفت إلى موظف الاستقبال قائلا !
سأخرج بعد نصف ساعة .. فهلا جهزت لي سيارتي (وأشار إلى سيارة فاخرة تقف على باب الفندق) ؟
صعق موظف الاستقبال مما يرى ويسمع ..فحتى جامعي القمامة يرتدون ملابس أفضل منه !!
ذهب الرجل إلى جناحه وبعد نصف ساعة خرج رجل ليس بالذي دخل !! حيث كان يرتدي ملابس فاخره .. و يعكس الإضاءة من نظافته !
لا يزال موظف الاستقبال في حيرة من أمره !
خرج الرجل راكب سيارته الفاخرة ! مناديا الموظف ... كم مرتبك ؟
فأجاب الموظف : كذا يا سيدي
الرجل : هل يكفيك ؟
الموظف : ليس تماما يا سيدي
الرجل : هل تريد زيادة ؟
الموظف : من لا يريد الزيادة يا سيدي
الرجل : أليس التسول ممنوع هنا ؟
الموظف بإحراج : بلا
الرجل : تباً لكم .. ترتبون الناس حسب أموالهم فسبحان من بدل سلوكك معي في دقائق
وأردف قائلا : في كل شتاء أحاول أن أجرب شعور الفقراء !
اخرج بلباس تحت المطر كالمشردين ..كي أحس بمعاناة الفقراء !
أما انتم فتبا لكم .. من لا يملك مالا ليس له احترام عندكم ..وكأنه عار على الدنيا
إن لم تساعدوهم ... فلا تحتقروهم...

٥ جمادي الأولى ولادة السيدة زينب عليها السلام

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ الديني

سيصدر قريباً ...

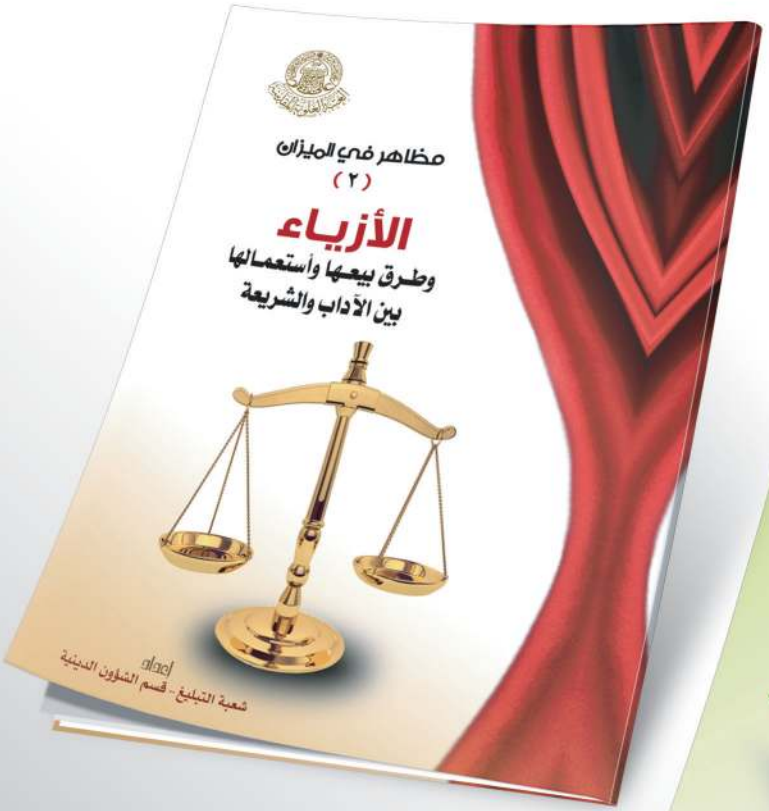

قسم الشُؤون الدينية / شُعبة التَبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186